نعم لتحرير المرأة !

هل المرأة في حاجة إلى تحرير؟

وما الحرية التي يريدونها للمرأة؟ وما معنى تحرير المرأة؟ وما معنى هذه المؤتمرات التي لا ينتهي أحدها حتى يعدون لمؤتمر آخر؟ كان من آخرها "مؤتمر السكان والتنمية" في القاهرة عام 1415هـ/1995م إلى " مؤتمر المرأة العالمي الرابع" في الصين بعد ذلك بسنتين.لا شك أن الحرية المقصودة ليست مقابل الرق فعهد الرق قد انتهى (على الأقل نظريا في معظم دول العالم).

لقد بدأت فكرة تحرير المرأة في أوروبا التي عانت فيها المرأة - وما تزال تعاني- من أنواع الاضطهاد حيث يتضمن تراثهم الفكري محاورات هل للمرأة روح أو لا؟وهل المرأة إنسان أو لا؟

وظلت المرأة في أوروبا تكسب حقوقاً ومكانة حتى انتقلت من النقيض إلى النقيض؛ من كائن لا قيمة له ولا كرامة إلى انفلات شبه كامل. فقد ظن القوم أن المساواة بين الرجل والمرأة ينبغي أن تتجاهل كل الفروق التي فطر الله سبحانه وتعالى الرجل والمرأة عليها.

والحرية الغربية للمرأة إنما هي حرية كاذبة ، فالمرأة الغربية التي يريدون أن تكون المثال لنساء العالم تعاني من أنواع الاضطهاد ؛فقد أُخرجت من بيتها لتعمل مثل الرجل

تماماً ولكن دون الحصول على الأجرة نفسها.والمرأة في الغرب أداة للإغراء والإثارة الجنسية ،فالمجلات الخليعة ما تزال رائجة لديهم. فبعض هذه المجلات ما تزال تصدر منذ أكثر من خمسين سنة مثل مجلة (بلاي بوي) وغيرها.وقد نشرت صحيفة عربية قبل أسابيع صورة شرطية أمريكية أو أوروبية تقاضت مبلغاً كبيراً مقابل التعري أمام الكاميرا.(وللطرافة فقد كتبت الجريدة ان المبلغ الكبير الذي تقاضته المرأة كان مقابل جهدها!!!) .

ونظراً لأن الأوروبي منذ نهضته التي بدأ من خلالها السيطرة على الأمم والشعوب محتلاً الأرض ومسيطراً على خيراتها وجاعلاً أسواقها أسواقاً لمنتوجاته الصناعية والزراعية، ظن منذ ذلك الحين أن فكره أيضا يجب أن يسود العالم كلَّه.

أي تحرير يريدون للمرأة؟ أهي حرية تفكك الأسرة ،وضياع الأبناء واختلاط الأنساب . العجيب أنهم ينشرون دراسات عن واقعهم تثبت فشل هذا الفكر المنحرف. فالحكومة البريطانية تنشر سنوياً دراسة عن الأوضاع الاجتماعية. وكانت آخر دراسة نشرت هناك وعرضت جريدة التايمز طرفاً منها أثبت أن الانجليز أصبحوا ينفرون من الزواج؛ فارتفعت نسبة العزوبية بسبب تعايش الرجال والنساء دون زواج، بل إنهم قد ينجبون خارج الزواج

،وتسمع الأصوات هنا وهناك مطالبة بمعاملة خاصة لمثل هؤلاء الأبناء .كما طالب بعض هؤلاء معاملتهم معاملة المتزوجين في مسألة الضرائب.

وكان من نتائج هذه الحرية أن ارتفع عدد المواليد خارج مؤسسة الزواج حتى كاد أن يصل إلى أكثر من ربع المواليد الشرعيين. وتكاد الشرعية تضييع حين ترتفع نسبة الخيانة الزوجية فيشك الرجل في أبنائه ويشك الأبناء في آبائهم. وقد وصل بهم هذا الأمر أن مطرباً فرنسيا يغني أغنية تقول كلاماتها أنه بحث عن فتاة ليتزوجها وكل ما وجد واحدة قال له الأب: "هذه أختك ولكن أمّك لا تعلم" فلما لم يجد فتاة يتزوجها ذهب إلى أمّه وقال لها ما دار بينه وبين أبيه، فقالت له: "إنّ أباك ليس أباك ولكنه لا يدري"،

ومن مشاكل حرية المرأة عندهم أن ارتفع عدد الأطفال الذين يعيشون في أسرة ليس فيها إلاّ والد واحد (الأب أو الأم). فأي حياة هذه؟ ألا يهدد هذا بنشأة أجيال تعاني نفسياً ولا تجد تربية سوية .فالطفل يحرم من الأب أو الأم وقد يكون الواحد منهما يسكن في البيت المجاور ولا يعرف الطفل أن هذا هو أبوه أو هذه أمه.

واكتشفت الدراسات الغربية مخاطر الاختلاط في التعليم على التحصيل العلمي -

لم يذكروا الأخطار الأخلاقية - فسعت بعض المدارس البريطانية للفصل بين الذكور والإناث في بعض الدروس للرفع من مستوى الطلاب .وقد أثبت نتائج امتحانات الثانوية العامة في بريطانيا العام الماضي تفوق المدارس غير المختلطة.ولكن الغرب مبتلى بأن أصحاب القرار لم يعجبهم مثل هذه الخطوات فعدوها صورة من صور الرجعية.-وهكذا فالعودة إلى الفطرة الصحيحة تعد رجعية.

وقد انتقل البلاء إلى العالم الإسلامي فقد كتب المؤلف المعروف أسامة أنور عكاشة قصة (ضمير أبلة حكمت) الذي تقع أحداثها في مدرسة للبنات في المرحلة الثانوية يقوم بتدريسهن مجموعة من المدرسين والمدرسات، وتحتوى القصة بعض المناظر الغرامية بين المعلمين والمعلمات، ولكن الأمور كانت-في القصة - طبيعية بين الطلاب والطالبات ومعلميهم. والمصيبة أن صراعات حكمت ضد الباطل تأسر المشاهد فتصبح الأشياء الأخرى ثانوية من اختلاط وخلوة ومخالفة للشرع.

هل حقاً تحتاج المرأة الحرية؟ وأي حرية هذه.نعم إنها الحرية من هيمنة الفكر الغربي الذي حطّ من شأن المرأة

تساءلت في السطور السابقة عن المقصود بتحرير المرأة؟ وهل هذا التحرير هو

الذي يفهمه الأوروبيون، ويريدون فرضه على الأمة؟ وفي هذه المقالة أتناول بإيجاز صوراً من محاولات الغرب لفرض هذا التحرير المزعوم على العالم الإسلامي.

ولنفهم هذا الموضوع أستعرض بعض الصور التاريخية لنظرة الغرب للمرأة؛ ففي كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ يصف المؤلف معاملة الغربيين للمرأة بكثير من الاستهجان والازدراء والاحتقار.وهذه بعض عبارات ابن منقذ: "وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها ،والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث .فإذا طولت عليه خلاّها مع المتحدث ومضى." وذكر ابن منقذ أمثلة أخرى بليغة في الدلالة على عدم الغيرة.

أما الصورة الثانية فهي أن حوادث الاغتصاب قد ارتفعت في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات في أوج ما سمي عندهم(الثورة الجنسية)، فاستضافت إحدى قنوات التلفزيون محامية عجوز، فكان مما قالته: "إنّ المرأة بحاجة دائمة لحماية الرجل،ولا ينبغي لها أن تخرج في أي وقت وبخاصة في الليل بدون رجل." ولكن النساء الأمريكيات ضحكن منها واستهزأن بكلامها ووصفنها بأنها رجعية. ولما كان هذا النصح لا يلقى اهتماماً عند من فقد

نور المنهج الرباني فقد ازدادت نسبة جرائم الاغتصاب.

فإذا كان مصطلح (تحرير المرأة) مناسباً للمرأة الغربية فهل كان مناسباً للمرأة المسلمة؟ لقد كانت أولى خطوات إفساد المرأة المسلمة في أثناء الحملة الفرنسية على مصر -رغم أن البعض يراها حملة تنوير- فقد جاءت الحملة بعدد من النساء المومسات والبغايا لإفساد الرجال المسلمين، ويذكر الجبرتي أن الحملة قامت باختطاف بعض النساء المسلمات وفرضت عليهن التبرج وزوّجت بعضهن من رجال فرنسيين حتى إذا عدن إلى المجتمع المسلم عدن بنفسية مختلفة فأحدثن ما يريد الغرب من إفساد.

أما الخطوة الثانية فكانت في الطلبة المبتعثين الذين عاد بعضهم من أوروبا منبهراً بوضع المرأة هناك .فأعجب رافع رفاعة الطهطاوي بوضع المرأة في المجتمع الفرنسي وما كانت تلقاه -على الأقل ظاهرياً- من اهتمام الرجل وتكريمه، وقارن ذلك بصورة المرأة في مصر حيث كان الجهل يعم المرأة والرجل على حد سواء. وكانت المقارنة ظالمة لأنها تقارن الرقة الظاهرية بواقع المسلمين المتخلف.ومع ذلك فالنظرة الفاحصة تؤكد على أن وضع المرأة المسلمة كان أفضل رغم سلبياته.

وجاءت الخطوة الثالثة بإصدار الكتب المنادية بالتحرير المزعوم للمرأة فتولى قاسم أمين في مصر كِبَر هذه الحملة بكتابه (تحرير المرأة)، وظهر شبيه له في تونس وهو الطاهر الحداد في كتابه (امرأتنا أمام الشريعة والمجتمع) الذي أسهمت البعثات التنصيرية بنشره في أنحاء الشمال الأفريقي. ولم يكتف الاحتلال بالكتب بل أسهمت الصحافة ووسائل الأعلام الأخرى من مسرح وغيره في نشر فكرة تحرير المرأة المزعوم على الطريقة الغربية. فقد ظهرت فرق من أمثال فرقة فاطمة رشدي وبديعة مصابني أول راقصة تظهر في مسارح الرقص في هذه الحملة ضد المرأة المسلمة. وكان هناك اتفاق بين الاحتلال الفرنسي والانجليزي في هذه المسائل رغم الخلاف في كثير من القضايا السياسية لكن إفساد المجتمعات المسلمة لم يكن موضع خلاف أبداً.

فهل كان هذا حقاً تحريراً للمرأة المسلمة أو إخضاعاً لها للقيم الغربية ؟ وفي المقالة القادمة نتناول بإذن الله آخر مخططات الغرب لفرض قيمه ومبادئه

بعد أشهر قليلة ستجتمع آلاف النساء من أنحاء العالم في بكين (سبتمبر 1995م) في مؤتمر المرأة العالمي الرابع، وقد خططت الجهات التي تهيمن على هذه المؤتمرات لاتخاذ قرارات تكون ملزمة لجميع

الدول.وتعقد هذه المؤتمرات تحت مظلة الأمم المتحدة التي ترى نفسها حكومة العالم القادمة أو أداة في يد حكومة العالم وإن لم يكن من الناحية العسكرية، ولكن من الناحية الفكرية.

وينبغي أن أقدم تمهيداً للحديث عن هذه المؤتمر بموجز سريع للمؤتمرات السابقة: ففي عام 1975م عقدت الأمم المتحدة مؤتمراً بعنوان (عشر سنوات من اجل المرأة) ،وجاء مؤتمر عام 1979م تحت شعار (إزالة جميع الفوارق بين الرجل والمرأة)، وكان مؤتمر (استراتيجية النظرة إلى الأمام في قضية المرأة)سنة 1985 م، والاجتماع الوزاري في جاكرتا عام 1990م. والاجتماع التحضيري لمؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين، والاجتماع العربي الإقليمي التحضيري للمؤتمر نفسه والذي عقد في العاصمة الأردنية في الفترة من 3إلى 5 نوفمبر 1994م

ولم يقتصر الحديث عن المرأة في هذه المؤتمرات فهناك مؤتمرات أخرى كان بعضها يربط بين المرأة والطفل أحياناً ،والتنمية والبيئة أحياناً أخرى، ومنها أيضاً المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان، ومؤتمر السكان والتنمية.

إن هذا النشاط الضخم وملايين الدولارات التي تنفق من أموال الدول فقيرها قبل غنيها تقصد إلى أهداف محددة أبرزها ما يأتي:

أولاً: المساواة التامة بين المرأة والرجل بحيث تتاح للمرأة الفرصة للمشاركة في النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.وتحت هذا البند الدعوة الى السلام وتطبيع العلاقات مع يهود.

ثانياً: إطلاق الحرية للمرأة في جميع المجالات والقضاء على القيود التي تضعها التشريعات الحالية التي تراعي ظروف المرأة الخاصة وطبيعتها.(يقصدون تشريعات الإسلام)

ويمكن تفسير هذه الأهداف بما يأتي :

1- إن الأسرة ليست نظاماً فطرياً ،ولكن الاتصال الحر بين الرجل والمرأة هو الفطرة الطبيعية.

2- من حق المرأة ممارسة رغبتها الجنسية دون الحاجة إلى الزواج أو الأولاد فإن هناك من وسائل الطب ما يمنع الحمل.

3- إنكار الدعوات الدينية التي تدعو إلى العفاف والبكارة وكذلك الإنجاب بحجة إفساد الحمل والولادة لجمال المرأة وجسدها.

4- عدم التفريق بين امرأة المجتمع الفاضلة وبين الغانية الراقصة، وجعل الأخيرة المثل الأعلى لتقلدها كل النساء.

5-إلغاء العقود المدنية في الزواج وظهور نظريات الترابط بين الرجل والمرأة بدون عقد مكتوب.

نعم لتحرير المرأة من هذه المؤتمرات أو المؤامرات الدنيئة للقضاء على تميز وضع المرأة المسلمة. ولكن كيف يتم ذلك ؟ لا بد من عمل قوي ومكثف لتوضيح الموقف الإسلامي. إن غياب إعلامنا العربي الإسلامي عن الساحة الدولية جعلهم ينشرون بيننا آراءهم ومواقفهم ،وكما هو معروف فلا يحدث الغزو الفكري إلاّ في غياب الإعلام الإسلامي.

ويمكن للعمل في هذا المجال أن يكون على محورين: الجبهة الداخلية بتكثيف المحاضرات والندوات التي توضح موقف الإسلام من المرأة ،وكيف أنه لا عز ولا سعادة للمرأة إلاّ في الإسلام. وكما استخدم الغرب وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز وسينما وغيرها في نشر مبادئه وفكره فعلى المسلمين أن يتمكنوا من استخدام هذه الوسائل لنشر ما عندهم من الحق.

أما المحور الثاني فهو الجبهة الخارجية، وكما قال الشاعر (ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه)، فعلينا أن ننطلق إلى إعلامهم ونبحث عن كل الفرص الممكنة لنشر نظرة الإسلام. ومما يدل على نجاح الإسلام أن

عدداً من النساء البريطانيات أقبلن على الإسلام عندما عرفنه معرفة صحيحة.

نعم لتحرير المرأة من المؤامرات الغربية، فقد آن الأوان أن تعود المرأة المسلمة إلى الوضع التي أراده لها الإسلام فليس لها عز ولا سعادة إلاّ في الإسلام. وليطمئن الرجل أنه لن يسعد مع المرأة إلاّ إذا التزما جميعا تعاليم الإسلام.

ماذا بعد مؤتمر السكان؟

وهكذا انتهى مـؤتمر السـكان بخـيره وشـره، فمـاذا علينـا أن نفعـل حـتى يحين موعـد المـؤتمر القادم؟ أما خير هذا المؤتمر فهو أنه أثبت صــحوة هـذا الأمــة ويقظتهـا حيث ظهـرت المقـالات هنـا وهناك في صحافتنا المحلية تعارض المؤتمر وتفند مسوّدة قراراته. ولا بد أن أشيد بصحيفة "المدينــة المنورة" الـتي خصصـت مسـاحات واسـعة لنشـر فقـرات واسـعة من مسـودّة القـرارات، وقـدمت عدة مقالات لعدة كتاب منهم الأستاذ محمد صلاح الدين ورضا لاري وعبد القادر كمال وغـيرهم، كمـا أن وسائل الإعلام الأخرى في البلاد الإسـلامية من تبنى نقد المؤتمر ومعارضته.

ومن الخير الـذي يمكن أن نجنيـه من انعقـاد هــذا المــؤتمر هــو التأكيــد على وجــوب الحضــور الإسلامي في دوائر الأمم المتحدة منـذ الخطـوات الأولى لعقد مـؤتمر قـادم. فقـد كتب سـعد الـدين إبـراهيم أسـتاذ علم الاجتمـاع بالجامعـة الأمريكيـة في القـــاهرة (أحـــد المتحمســـين للمـــؤتمر) أن "الأعمال التحضيرية تمتد إلى عدة سنوات، بل إنه بمجرد الانتهاء من واحد منها يبدأ الاهتمام بالإعداد للمـؤتمر الـذي يليـه." وذكـر في موضـع آخـر أن المسوّدات المختلفة للوثيقة قـد قـرئت ونوقشـت في ثلاث ندوات في الإسكندرية والمنيا والقـاهرة، وشارك في هذه النـدوات خـبراء وأطبـاء و"رجـال

دين" إسلامي ومسيحي.(ليس في الإسلام رجال دين) فمتى كانت هذه الندوات؟ ومن الذي حضرها نيابة عن علماء الدين الإسلامي؟ أم إن لسعد الدين إبراهيم وغيره معايير خاصة في تحديد علماء الدين؟ والحقيقة كيف يمكن لعالم مسلم أو حتى مسلم عادي أن يقبل أن تقول المسودة بأن "الصحة التناسلية هي حالة من الرفاهية العقلية والاجتماعية، ولا تقتصر على غياب مرض أو إعاقة في جميع الأمور المتعلقة بالجهاز التناسلي ووظائفه وعملياته، لذلك فإن الصحة التناسلية تنطوي على أن يكون الأفراد قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة، وان تكون لديهم القدرة على التناسل، وأن يكونوا أحراراً في تقرير موعد وتواتر ذلك(عدد المرات) ..."([1]) أو غيرها من الفقرات التي تجعل الشذوذ ممارسة جنسية يضمنها إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، وتتحدث عنها هذه الوثيقة بألفاظ عامة..([2])

وقبل أن نحاول الدخول إلى دوائر الأمم المتحدة حتى لا يقضى الأمر أو تقضى الأمور والمسلمون "غياب" علينا أن ندرس دراسة علمية واعية المؤتمرات الأربعة السابقة ونتائجها.([3])

---

[1] -الفصل الرابع الفقرة 29 من مسوّدة القرارات أو الوثيقة

[2] - انضمت اسبانيا مؤخراً في شهر يونيو 2005م إلى الدول التي أقرت مشروعية زواج المثليين (الشاذين) بعد هولندا والسويد وغيرها

[3] - هذه المؤتمرات هي 1- روما فبراير 1954م- بلغراد مارس 1965م- بوخارست (رومانيا) أبريل 1974م-

وبعد فهذه الدراسة يجب أن يقوم بها مجموعة من العلماء وأن تعقد عدة ندوات قبل بدء هذه الدراسة للاتفاق حول الخطوط العامة لهذه الدراسات وإعداد النقد العلمي للمؤتمرات السابقة ونتائجها.

ومن الخير الذي جاء به هذا المؤتمر أن كثيراً من المعلومات قد كُشفت وعُرضت عرضاً علمياً جيداً ، وهذه المعلومات التي تخص الإنتاج العالمي أكثر من سبع مرات بينما لم يتضاعف عدد السكان في العالم سوى مرة واحدة. وأن الخلل إنما هو في أن سكان الشمال الذين لا يزيدون عن 20% من سكان العالم يستأثرون بثمانين بالمئة من الإنتاج. وتناول عمارة مسائل أخرى مثل الخل بين أسعار المواد المصنّعة وأسعار المواد الأولية، وكذلك الخل فيما يُنفق على التسلح وبين ما ينفق على الزراعة والصناعات المدنية والسيطرة الفكرية والثقافية للغرب أو الشمال.

وقد كتبت جريدة الحياة (30/أغسطس 1994م) نقلاً عن معهد الرقابة العالمي أن المشكلة "ليست في عجز الكرة الأرضية عن تأمين الغذائي للأعداد المتزايدة من السكان بل في سوء التوزيع". بل إن الأمر أخطر من ذلك وهي التي يطلق عليها الكاتب في جريدة الواشنطن بوست ستيفن روزنفيلد "القدرة

مكسيكو سيتي بالمكسيك 1984م.

المتنامية لاستهلاك المصادر وإنتاج النفايات" لــدى الأمريكيين بالطبع.

إننا بانتظار المؤتمر القادم أن نتابعـه خطـوة خطوة سواءً اجتماعاته العلنية أو غير العلنية أو ما يتم خلف الكـواليس، فمـا دامت هـذه المـؤتمرات تــؤثر في حياتنــا اجتماعيــاً واقتصــادياً وثقافيــاً وسياسياً فيجب أن يُسمع الصوت الإسلامي عاليـاً. وحتى يعقد المؤتمر القادم لا بد من حملـة ثقافيـة واســعة لتوضــيح حقــائق الفــرق بين الشــمال والجنوب في الإنتاج والاسـتهلاك. ولا بـد أيضـاً من العمل على رفــع إنتاجيـة العـالم النـامي لينـافس بحق على مصـادر العـالم ومـوارده وعلى السـاحة الثقافيـة والفكريـة. ولنتـذكر أن من الـواجب على المسلمين جميعاً أن يحملوا دعوته إلى العالم كله، كل واحد حسب قدراته وعلمه.

بين موقف المسلمين وموقف الكاثوليك من مؤتمر السكان

مئتان وخمسون ألف فلبيني تجمعوا في مانيلا (العاصمة الفليبينية) بناءً على دعوة من الكنيسـة الكاثوليكية في الفيليبين للضغط على حكومتهم لرفض مقررات المؤتمر الدولي الذي سيعقـد في القاهر الشهر القادم (سبتمبر 1994م) بعنوان "السكان والتنمية".

وقد ذكرت صحيفة "التايمز" اللندنية في عددها الصادر يوم 15 أغسطس 1994م أن الكاردينال رئيس الكنيسة الكاثوليكية كرّر تنديد الفاتيكان للوثيقة المسودة للمؤتمر الدولي الذي سيعقـد في القاهرة قائلاً بأنه يدعو إلى الإباحية على مستوى العالم ويبيح الإجهاض. ويضيف الخبر أن الكنيسة كانت تأمل أن تحصل على تواقيع مليون نصراني كاثوليكي للاحتجاج ضد هذا المؤتمر، وأشار الخبر إلى أسباب أخرى تخص نصارى الفلبين للاعتراض على القرارات التي يدعو إليها مؤتمر القاهرة.

أما في العالم الإسلامي فماذا فعل المسلمون؟ لم تورد وسائل الإعلام عن أي رد فعل جمـاعي لهذه المؤامرة الماكرة الخطيرة. غير أنني رصدت مجموعة من المقالات التي أرجو أن تصل إلى أسماع وأنظار المسؤولين في الدول الإسلامية ليكونوا على حذر ويرفضوا ما جاء في مسودة قرارات المؤتمر. ومن هذه الكتابات ما يأتي:

ذكتب فهمي هويدي في "الشرق الأوسط"([1]) بعنوان "لهذه الأسباب نرفض مؤتمر وقف نمو البشرية، ولعل أخطر ما في هذا المؤتمر أنه كما يقول هويدي:" أن تتحول الأمم المتحدة وكأنها الدولة الكبرى التي تملي على الرعايا المنتشرين في أنحاء العالم رؤية آحادية ليس في الاقتصاد والسياسـة، وإنما في السلوك الاجتماعي المحكوم بثقافات وديانات وتراث تلك الشعوب*، وليت تلك الرؤية تتسق مع تلك الثقافات والديانات وإنما هي تصطدم معها اصطداماً مباشراً وتستهين بها بطريقة مهينة وفجة".

أما الكاتب الثاني الذي خصص عدة مقالات لرفض هذا المؤتمر وتوصياته فهو الأستاذ محمد صلاح الدين الذي كتب يقول([2]): "إن منطلقات المؤتمر كلها تصادم عقيدة المسلم وتناقض صريـح إيمانه بالله ورسوله واليوم الآخر، وتكذب النصوص القطعية للشرع الحنيف".

وكتبت مجلة المجتمع ([3]) تقول: "إن المؤتمر يأتي ضمن خطة التحرك الغربية لفرض معالم النظـام العالمي الجديد الذي تسيطر فيه الحضارة الغربية على مقدرات شعوب العالم، وضمان تنفيذ رؤيتها للمشكلات العالمية ، ومن بينها المشكلة السكانية."

---

[1] 1- عدد 5704 في 3صفر 1415(11يوليو1994م)

[2] -**المدينة المنورة**، 15 ربيع الأول 1415هـ

[3] -العدد 1113 في 8 ربيع الأول 1415هـ

وكذلك كتب الدكتور عبد القادر طاش ورضا لاري ينددان بمؤتمر يعيد إلى الأذهان السيطرة الاستعمارية وذيولها بفرض القيم و المبادئ الغربية على شعوب العالم أجمع بما فيها الشعوب الإسلامية.

ورغم أهمية كل ما سبق فإن ما كتبه محرر نشرة "أخبار المسلمين في الولايات المتحدة" يتمـيز بالتحليل الدقيق والكشف عن خبايا مسوّدة القرارات التي تتظاهر بالمبادئ الإنسانية. فقـد كتبت النشرة تقول: "تعد الأمم المتحدة هذا المؤتمر أهم مؤتمر تعقده منذ عشرين سنة، وأنها ستفرض التوصيات التي جاءت في مئة وثلاث عشرة صفحة (بالإنجليزية) باستخدام "منظمة النقد الدولية" و "البنك الدولي"، وتضيف النشرة بأنه كما هي الحال مع وثائق الأمم المتحدة فقد وردت عبارات ذات مظهر جميل مثل:" دعم النمو...، دعم النمو الاقتصادي، وحقوق الإنسان" ولكنها تخفي وراء هذه العبارات خطة كاسحة لثورة جنسية تحت مظلة النظام العالم الجديد. ويدعو المؤتمر إلى الثقافة العالمية، واهم أسس هذه الثقافة "الصحة الإنتاجية" وهذا يعني أن من حق السكان إشباع رغباتهم الجنسية والتناسل، ولهم الحرية في اتخاذ القرار متى وعدد المرات. ولعل من أخطر ما تضمنته المسوّدة أن من حق الأمم المتحدة فرض هذه الحرية بالطريقة التي تراها مناسبة مثل المقاطعة الاقتصادية أو الإجراء العسكري. وليس هذا فحسب فقد أوضحت

الخطة "الشيطانية": الوسائل لنشر هذه الثقافة العالمية الإباحية: التوسع في استخدام كل أنواع البرامج الترفيهية الإعلامية بما في ذلك المسلسلات التلفزيونية([1]) وغيرها...

اللهم جنب الأمة الإسلامية هذه المخططات الشيطانية وارزقنا القوة لمواجهتها بالعودة الصحيحة إلى إسلامنا.

---

[1] -بعد فترة وجيزة من هذا المؤتمر اشتدت نشاطات القنوات الفضائية ومنها على سبيل المثال "القناة الفضائية اللبنانية LBC والمستقبل، وقنوات أخرى كثيرة. وقد صرح مدير المحطة اللبنانية الفضائية لمجلة (الجديدة) (26ربيع الأول1418هـ قائلاً: "نعم استعملنا الجنس وهدفنا الخليج- يقصد الخليج العربي والجزيرة. وقد لاحظت أن فرنسا وجهت بث القناة الفرنسية الثانية إلى بعض دول شمال أفريقيا -مجاناً- ويحتوي بث هذه القناة على الكثير الذي يخدش الحياء، ويحارب الدين ومن ذلك أنها عرضت فيلما في شهر ذي الحجة عام 1416هـ عن فتاة متحجبة وما كانت تواجهه من صعوبات حتى قررت في النهاية خلع الحجاب، لأن ذلك كان هو القرار الصواب حسب رأي مخرج الفيلم ومؤلفه والقناة.

رسائل إلى مؤتمر بكين

ينعقد قريباً المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في عاصمة الصين بكين (بيجين) ،وقد أعدت بعض المنظمات الإسلامية العدة للمشاركة في هذا المؤتمر ليرفعوا صوت الإسلام عالياً في مثل هذه المحافل الدولية ، وليخذلوا عن المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فنسأل الله عز وجل لهم التوفيق والنجاح.

ما ذا تريد الأمم المتحدة من وراء هذه المؤتمرات ؟لقد قيل -بحق- إن الغرب الذي يسيطر على أجهزة المنظمة يستخدمها لمواصلة نشر هيمنة الغرب الفكرية والثقافية على دول العالم، وكأن العالم مسرحاً فارغاً يصول فيها ويحول كما يشاء.

ولكننا نقول إن الأمة الإسلامية تملك الرسالة السماوية الخاتمة وعندها من القيم والمبادئ ما هو حقيق بالغرب أن يعرفها معرفة صحيحة ليفيد منها ويتبناها لتنفذه من كثير من مشكلاته التي أصبح بعضها مزمناً .

وأبدأ هذه الرسائل الموجهة إلى مؤتمر بكين بالحديث عن أسلوب الشيخ أحمد ديدات يحفظه الله ؛ فقد لقيته قبل أكثر من سبع سنوات في فندق متواضع في المدينة المنورة جئت لأدعوه ليحاضر في المعهد العالي للدعوة الإسلامية ولكنه اعتذر بأن تلك الزيارة كانت عائلية جداً ولم يكن يريد أن يخالف ما وعد به زوجه بأن لا ينشغل عنها بالمحاضرات وخلافه .ولكني كسبت منه بضع

دقائق قال لي فيها لمّا عرف أنني من قسم الاستشراق -حفظه الله-:" علينا أن نتوقف عن الدفاع التبريري ، ومحاولة صد هجوم الغربيين على الإسلام ، بل علينا أن ننتقل إلى الهجوم مما ذكرني بالقول المعروف الهجوم هو خير وسائل الدفاع .ثم ذكر الشيخ بعض الحقائق عن المجتمعات الغربية وهو يحفظ بدقة الأرقام والإحصاءات ومن هذه الحقائق : عدد المدمنين على الخمر والمدمنين على المخدرات ،عدد الشاذين، عدد المواليد غير الشرعيين في المجتمعات الغربية ، انتشار الأمراض الجنسية، ارتفاع معدلات الطلاق، تفكك الأسرة ...الخ.

وهذا المؤتمر الذي يزعم لنفسه أنه يريد تحقيق المساواة للمرأة والنهوض بمجتمعات العالم وإصلاحها عليه أن يتساءل ما المساواة التي يريدونها بين الرجل والمرأة؟ أهي المساواة التي تُخرِجُ المرأة من بيتها للعمل في الأعمال الشاقة؟ لتقود المعدات الثقيلة في المطارات وفي الشوارع العامة؟ لتشترك في تعبيد الطرق و تزفيتها؟ لقد كان العالم العربي يُقَسّم إلى دول تقدمية وأخرى رجعية، وأذكر أنني زرت إحدى الدول التقدمية عام 1394هـ(1974م) فرأيت النساء يحملن القفف (الزنابيل) وفيها الحصى يشاركن في عملية تعبيد طريق أو تزفيته، فتعجبت أهذه هي التقدمية التي يريدونها. فهل يريد الشاب المسلم لأمه أو أخته أو زوجته أو خالته أو عمته أو جدّته أن تحمل زنبيل الحصى ؟

ما المساواة التي يريدون ؟ فهل في الدنيا قول أبلغ من قوله صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال) ،وقد وردت كلمة نفس في القرآن الكريم اكثر من ثمانين مرة لتعني الرجل والمرأة، بل إن المرأة والرجل في الأصل من نفس واحدة كما في قوله تعالى{ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خـلقكم من نفس واحدة** } ويقول الحق سبحانه وتعالى في آية أخرى{ **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**} . وحتى اللغة العربية التي تعرف التأنيث الحقيقي والتأنيث المجازي لا تفرق بين الرجل والمرأة في الزواج فكل واحد منهما يطلق عليه زوجاً فمن الخطأ حينما نقول الزوجة.

ومن الأمثلة الأخرى على المساواة في الإسلام في التكاليف قوله تبارك وتعالى:

{ **لا تكلف نفس إلاّ وسعها**}

{ ثم توفى كل نفس ما كسبت }

{ ووفيت كل نفس ما عملت من خير محضرا}

{ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها}

فيا أيها المؤتمرون في بكين ما المساواة التي تريدون والمسـلم مـأمور أن يكـرم المـرأة أمّاً وابنة وأختـاً وزوجـاً وخالة وعمة .. إن حضـارتكم المادية تطـالب الفتـاة بـان تنفق على نفســها إذا ما بلغت الخامسة عشــرة ، وهــاهي بيوت المسنين تكتظ بالأمهات والخـالات والعمـات والجـــدات ،فهل في العـــالم الإســـلامي بيـــوت

المسـنين كما عنـدكم ؟أليس لأن الإسـلام يـأمر الابن أن يبر أمَّه ثلاث مرات والرابعة أباه؟

نشـرت جريـدة التـايم اللندنية في عـددها الصـــادر في 4 ســـبتمبر 1994 (قبل عـــام تقريباً)تقريـراً صـحافياً لمراسـلة الشـؤون الدينية ليزلي توماس بعنوان " النساء البريطانيـات يبحثن عن الأخلاق في الإسـلام" ولمّا كـان مـؤتمر بكين يريد للمرأة المسـلمة أن تبتعد عن دينها بحثـاً عن الحقـــوق الضـــائعة في زعمهم أو المســـاواة الموهومة فمن المناسب أن نـــــــذكّرهم ببعض فقرات هذا التقرير .

تقول ليزلي :" الألوف من النساء البريطانيـات يصـبحن مسـلمات في موجة حيّـرت المهتمين بشؤون المرأة، وسببت قلقـاً للنصـارى. فمعظم اللاتي تحولن[اهتدين] إلى الإسـلام ويزيد عـــددهن على عشـــرة آلاف امـــرأة خلال العقد الماضي غير متزوجات ،وهن متعلمـات ومن بينهن طبيبات ومحاميات ومحاضرات تحـولن إلى الـدين الذي ينظر إليه على أنه دين يضطهد المرأة."

وتروي الكاتبة بعض قصص من أسلم من النساء البريطانيات وسبب إسـلامهن فـأولاهن هي مـويرا ني كولمـان (31سـنة) قد تـربت في عائلة كاثوليكية ايرلنديـة، وقد اسـتمعت ذات يـوم إلى متحدث في حديقة الهايد بارك بلنـدن عن الإسـلام ، وهنا فكـــرت بأنها ولـــدت كاثوليكية وســـتموت كذلـك فلمـــــاذا لا تبحث عن الإســـــلام ،وفعلاً أصبحت مسلمة عـام 1993 ،وغـيرّت اسـمها إلى

بشـــرى.وتقــول بشــرى عن دينها الجديد :" إنــني أحب الطمأنينة والســـلام الـــذي أعيشه في ظل الإسـلام كما أحب النظـام الأخلاقي في الإسـلام . إن المســـلمة تعــرف تمامـــاً مكانها في المجتمع وحقوقهـا. أما المــرأة الكاثوليكية فتجد مصــاعب كبـيرة في التعامل مع التشـريعات الكاثوليكية في منع الجنس قبل الــــزواج ،ولكن الأمر أبسط في الإسلام حيث على المـرأة أن لا تختلط بالرجـال." وتضــيف بشــرى :" إن الحــدود الواضــحة لمكانة المـرأة في الإسـلام تعـنى عـدم وجـود صـراع بين الرجل والمــرأة ،فالإسـلام يجعل الرجل مســؤولاً عن المــرأة ،ومع ذلك فتحتفظ المــرأة بممتلكاتها ،وإذا ما أسهمت في مصروفات الأسـرة فالإسـلام يعد ذلك من أعمــــال الخــــير ،فالإســــلام يوجد الانسجام بين المرأة والرجل."

ونقلت كاتبة التقرير عن متحدث عن رابطة المسلمين البريطانيين قوله: "إنه بالرغم من عدم وجود إحصائيات رسـمية لعـدد الـذين يهتـدون إلى الإسلام ،لكن هذا العدد يتزايد باستمرار، وكثير من هؤلاء يجدون الملجأ في الإسلام."

وتحدثت مسلمة أخرى (43سنة) أسلمت منذ ثلاث عشرة سنة، وتعمل في شركة اسـتثمار بأنها لا تغطـي رأسها في العمل وإلاّ طــردت، ولكنها لا تختلط بزملائها الـذكور ولا تشـاركهم في الـذهاب إلى الحانة نوهي لا تذيع بأنها مسلمة ،ولذلك ينظر إليها بأنها امرأة متحفظة نوعاً ما.

ويقول مدير مركز الدراسات الإسلامية بجامعة ويلز -الـــذي يقـــوم حاليـــاً بدراسة هـــذه الظـاهرة- :"يبدو أن ازديـاد العلمنة في الكنـائس البريطانية قد أبعد النـــــاس عنها ،ولــــــذلك اتجه بعضهم إلى الإسلام ،ومن المدهش حقاً أن النساء البريطانيــات اللاتي تحــولن إلى الإســلام هن من النسـاء المحترفـات العمل ومن الطبقة الوسـطى بالرغم من الحركـات النسـائية والصـورة السـلبية التي يصور بها الإسلام في الغرب."

وتختم كاتبة التقرير بأن بعض المسلمات يعـدن إلى النصـرانية ،ولكنها لا تقـدم الـدليل على ذلك ،وهو أمر غــير معــروف عن هــذا الــدين بل الأصل أن الذي تعتنق هذا الدين لا يخرج منه مهما واجه من صعوبات أو مشقات كما جاء في الحـوار الــذي دار بين أبي ســفيان وهرقل عظيم الــروم حيث أكّد هرقل أن الـذي يـدخل الإسـلام لا يخـرج منه. لكن الكاتبة أرادت تشويه صورة الإسلام بـأي وسيلة .

والرسالة التي أبعثها إلى مؤتمر بكين أن النساء البريطانيات العـاملات واللاتي تعرضن لكل أنـــــواع دعاية تحرير المــــرأة لم يجـــــدن الحرية الحقيقية إلاّ في الإسـلام ،فهن متعلمـات عـاقلات كاسـبات فهل بعد هـذا رسـالة أبلغ لمـؤتمر يريد للمــــرأة أن تمــــارس كل أنــــواع الفســـاد باسم المساواة مع الرجل؟

فهل تصل رسالة النساء البريطانيات إلى هـذا المـؤتمر وإنـني أتمـنى أن يشـاركن في هـذا

المــؤتمر ليحبطن تخطيطه الخــبيث لمحاربة القيم والأخلاق
يا أيها المـــؤتمرون من المســـلمين في بكين هل تقرؤون الصحف الغربيــة؟ هل تقــرؤون ما يُـترجم من الصــحف الغربية في الصــحافة العربيـــة؟ إن وكالات الإعلام الغربية الــتي تسـيطر على ما يزيد على ثمـــــانين بالمئة مما ينشر في جميع أنحــــاء المعمـــورة يصل إليكم بلغـــاتكم المختلفة ،وهـــذا والله يدعو إلى العجب مـن أولئك الـذين يطلعـون على هذا الإعلام كيف لا يعتـبرون مما وصـلت إليه المجتمعات الغربية عموماً من تــدهور في الأخلاق والقيم ، وأعجب أكـــثر حينما ينســاق بعض أبنـــاء الأمة الإسلامية لتقليد الـدعوات الغربية .فهل على عيونهم غشاوة حتى لكأنّهم المقصودون في قوله تعــالى{كأنما أغشـيت وجــوههم قطعــاً من الليل مظلماً }(يونس 27)
ولإزالة هذه الغشاوة نرجع إلى بعض ما نشــرته وســائل الإعلام الغربية الــتي تتحــدث عن مجتمعاتهم بشيء من النقـد؛ فالحكومة البريطانية تنشر سـنوياً تقريـراً عن حالة المجتمع البريطــاني ،ولا بد أن المجتمعات الغربية عموماً تهتم بإصــدار تقــارير إحصــائية سـنوية .ففي التقرير البريطــاني لعــام 1993م والـــذي نشــرت صــحيفة التــايمز فقــرات منه أشـــار إلى تفكك الأســـرة البريطانية ،وعــدد الأسر الــتي تتكــون من أم وحــدها أو أب وحـــده. وتنـــاول التقرير ارتفـــاع معـــدلات الطلاق وارتفـــاع معـــدلات الجريمـــة، وارتفـــاع معـــدلات

المـدمنين على الخمـور وعلى المخـدرات ،وعـدد المصابين بالأمراض الجنسية.

والغرب الذي تتمتع مجتمعاته بانفتاح نسبي من النـــواحي الفكرية يظهر فيه من يرفع صـــوته بالنقد من أوضاعه ويدعون إلى الرجـوع إلى الحق والفضيلة. وفيما يأتي بعض هذه النماذج:

أولاً: قـررت بعض المـدارس فصل الـذكور عن الإنـاث في بعض المـواد الدراسـية لرفع مسـتوى الطلاب والطالبات في المواد التي لوحظ ضـعفهم وضـعفهن فيهـا. وبـالرغم من نجـاح التجربة فـإن بالبعض نظر إليهـا على أنها رجعية .أليس الرجوع إلى الحق هو التقدمية والإمعـــــان في الباطل هو الرجعية ، ولذلك نعى القرآن الكـريم على الكفـار تمسكهم بما كان عليه آباؤهم حتى ولو كان بـاطلاً { أولو كان آباؤهم لا يعلمـون شـيئاً ولا يهتـدون } (المائدة 104)

ثانيـــاً: الطالبـــات في المـــدارس غـــير المختلطة البريطانية يخطفن المراكز الأولى في امتحـــــــان الثانوية العامة

ثالثــاً: اعــتراض بعض مواطــني مدينة بيرمنجهــام البريطانية على تـــــولي امـــــرأة كـــــانت تعمل مومسا(باعترافها) منصب رئاسة البلدية

رابعـاً: انتشـرت في الغـرب جمعيـات الـدفاع عن المـرأة من قسـوة الرجل وعنفـه، فـالمرأة الـتي تتعـرض للضـرب يمكنها اللجـوء لهـذه الجمعيـات لحمايتها من زوجهـــا. وعجيب أمر الغـــرب يتهم الإسلام والمسلمين باضطهاد المـرأة ،وأنه يسـمح

بضـربها ولم يـدر بخلد هـؤلاء أن الضـرب هو آخر العلاج ولا يكـون الضـرب مبرحـاً ويتجنب الوجـه. ومع ذلك فـإن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم استهجن هذا الفعل إلاّ للضرورة القصـوى وتعجب من الرجل يضرب زوجه ضرب العبد ثم يأتيها ليلاً.
خامساً: الأطفال المفقودون...يعـاني المجتمعـات الغربية عمومـاً والولايـات المتحـدة الأمريكية من ظاهرة فقدان الأطفال حتى إن شـبكة سي إن إن CNN جـزءا من برامجها للحـديث عن الأطفـال المفقـودين ، وقد عرضت المحطة الجهـود الضـخمة الـتي تبـذلها المؤسسـات الحكومية والأهلية للبحث عن الأطفال المفقودين .ويتعـرض الأطفـال المفقـودون لشـتى أنـواع الجـرائم من خاطفيهم منها الاغتصاب والقتل .

هذه نماذج محدودة من متاعب الغرب الاجتماعية في موضوع المرأة خصوصاً والأسرة عموماً فلماذا كل هذه الجهود لفرض القيم الغربية على مجتمعات دول العالم الثالث ،فهم لو انشغلوا بمشكلاتهم لكفتهم .أما مشكلاتنا فإننا نعرف الطريق إلى حلّها وما ذلك إلاّ بالرجوع إلى الكتاب والسنّة وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم..

بـدأ القسم العـربي بهيئة الإذاعة البريطانية -كما تقـول مجلة المشـاهد- منذ أكـثر من سـتة أشـهر بالإعـداد لبرنـامج خـاص حـول وضع المـرأة في العالم العربي بعنوان (نون النسـوة) ليبـدأ بثه قبل وقت قصـير من انعقـاد مـؤتمر المـرأة العـالمي

الرابع وفي أثناء انعقاد المؤتمر .وتزعم المجلة أن هـذا أكـبر جهد ثقـافي تبـــذله أية وسـيلة إعلامية لتغطية هذا المؤتمر. ويتضمن البرنامج لقاءات مع ما يسمى القيادات النسائية في العـالم الإسـلامي ،ومع نساء عاديات (محتارين بعناية)

وهذا النشاط المتميز للقسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية يدعونا إلى التساؤل ما ذا فعلت الإذاعـات العربية أو وسائل الإعلام العربية عموماً لمواجهة هـــذه التظـــاهرة العالمية ؟ فالإذاعـــات العربية تخضع برامجها في الغـــالب لما يســـمى الدورة الإذاعية الـتي تحـدد الهيكل العـام للـبرامج ومحتوياتهـــا، ولكن هل تأخذ هـــذه الـــدورات في حسابها المرونة لتغطية الأحداث العالمية التي يتم التخطيط لها مســـبقاً كما هو الحـــال في هـــذا الحدث.

إن مهمة الإعلام مهمة خطـيرة ،ويجب على رجـــال الإعلام أن يـــدركوا مســـؤولياتهم في توجيه الجمهور وتنويره فعندما يتحـدث العـالم عن المـــــــرأة في وســــــائل الإعلام المختلفة يفتقد المراقب الإعلام الإسلامي عموماً ، فما ذا أعـــددنا من برامج لهذا الحدث أو غيره؟

ولتوضيح الموقف أكثر لابد من الإشارة إلى مـؤتمر السـكان والتنمية الـذي عقـدت في العـام الماضي فكـان الملاحظ أن إعلامنا المقـروء كـان أكثر استجابة حيث أفـردت الصـحف مجـالاً طيبـاً لـذوي الـرأي والخـبرة أن يتنـاولوا هـذا الموضـوع .وقد تمـيزت صـحيفة " المدينة المنـورة " بتغطية

رائعة لأحــداث المــؤتمر ووقائعه ، وكــذلك لوثيقة المؤتمر التي نشرت معظم نصوصها.

أما الإذاعة- وقد أكون مقصراً في الاستماع إليها- فلم تعد لهذا الحـدث الإعـداد الكـافي، وهي وإن كانت قد نقلت بعض الأخبار حـول المـؤتمر أو مواقف الــدول المختلفة من وثيقة المــؤتمر لكنها لم تستغله هذه الفرصة لإعداد بـرامج توعية حـول القضايا التي أثارها المؤتمر. ولـذلك فـإنني أتقـدم بـالاقتراح بـأن تتضـمن الـدورة الإذاعية شـيئاً من المرونة بأن يكون هناك مساحة لمثل هذه القضايا حيث تعـد بـــــرامج مكتملة من أحــــاديث إذاعية وحــوارات وغيرهــا. ومما يــدعو إلى التفــاؤل أن صـحافتنا والحمد لله تمتلك مجموعة من أصـحاب الأقلام الواعية التي يمكن أن تـثري بـرامج الإذاعة والتلفاز.

ويمكن للإذاعة والتلفاز بالإضافة إلى البرامج الخاصة أن تضيف فقرة في نشرة الأخبـار أو بعدها مدتها ربع ساعة تذاع أكثر من مــرة يوميا يعد فيها أحد المذيعين أو معـدي الـبرامج قـراءات للصــــحف والمجلات المحلية يتنــــاول فيها أبــــرز المقــالات من خلال قـــراءة فقـــرات منها .ونحن بمثل هـذه القـراءة نحقق أكـثر من هـدف منهـا: تقوية الصـلة بين وسـائل الإعلام المختلفة ،وثانيــاً في مثل هــــذا العمل تشـــــجيع للمســــتمعين والمشــاهدين للبحث عن الصــحافة لقــراءة بقية المقالة وربما متابعة كاتب معين أو صــحيفة معينة ، وثالثــا: نكــون قد حققنا هــدفاً دعويــاً بأســلوب

مشــوق بعيد عن الوعظ المباشــر، وهــذا من أهم أسس الإعلام في هذه البلاد .

إنني أرجو أن تكون هذه الرسالة إلى مؤتمر بكين فرصة لوســائل الإعلام المســموعة والمرئية لإعـادة النظر في دوراتها البرامجية المقبلة لتجعل فيها مجــالاً للمرونة والتنويع والمتابعــة. وأرجو أن تستعين الإذاعة بمن لديهم الحس الصحافي الذي يسعى إلى متابعة الأحـداث العالمية قبل وقوعهـا. فهل أعـددنا أي بـرامج لمواجهة بـرامج الإذاعـات الموجهة الـــتي تخـــالف توجهـــات الأمة وقيمها وتقاليدها كما كان الحـال في برنـامج (عن الجنس بصراحة) الـذي قدمته إذاعة لنـدن القسم العـربي بعد انتهــاء مــؤتمر الســكان في القــاهرة العــام الماضي.

نحن ومؤتمر السكان الجديد

بدأ يوم الاثنين الثـاني والعشـرين من شـوال 1419 هــ الموافق 8فــبراير 1999م المــؤتمر الــدولي الخــامس للســكان والتنمية أعماله في مدينة لاهـاي في هولنـدا بمشـاركة أكـثر من مائة دولة. وبـالرغم من متـابعتي الصـحفية المسـتمرة فإنني لم أعثر على كتابات حول هذا المـؤتمر قبل انعقاده. هل الصمت قبل المؤتمر وربما أثناءه أمر مقصود حتى يقضى الأمر ونحن غياب؟

قبل أربعة أعـوام عقـدت الـدورة الرابعة من هذا المـؤتمر في القـاهرة، وكـانت أخبـار المـؤتمر تحتل مكان الصدارة في وسـائل الإعلام المختلفة، وقد أثـار المـؤتمر كثـيراً من ردود الأفعـال حـول حضــور المـــؤتمر أو الغيـــاب عنه وحـــول وثيقة المـؤتمر الـتي أعـدت قبل انعقـاد المـؤتمر وجـاء المؤتمر لإقرارها بعد مناقشتها. ولكنها كانت خطة مبيتة لنشر الفســـاد بذريعة ما يســـمى إطلاق الحريـــات الفردية في مجـــال الصـــحة الإنتاجية (الجنس) وكـــان للشـــاذين حضـــورهم في هـــذا المؤتمر.

وقد رافق المـــؤتمر وتلاه اهتمـــام وســـائل الإعلام الغربية وبخاصة الإذاعــــــات الموجهة في ركـوب الموجة فقـدمت إذاعة لنـدن برنامجـاً من عشـــرين حلقة عن الجنس والثقافة الجنســـية وعرضت على الأســـماع ما يخـــدش الحيـــاء من معلومات وتفاصيل وقيم غريبة.

وقد لاحظت أن هنـــاك ارتبـــاط بين هـــذه المؤتمرات الدولية في الخط الفكري الذي تسعى لترويجه والدعوة إليه. فبعد انتهاء مـؤتمر القـاهرة الــدولي حــول الســكان والتنمية جــاء المــؤتمر العـــالمي الخـــامس للمـــرأة في بكين بالصـــين فتداعت المنظمـات الحكومية وغـير الحكوميـة(؟) لعقد الندوات وحلقات البحث والدراسة في أنحـاء العالم العـربي والغـربي للتحضـير لمـؤتمر الصـين وكـانت في الغـالب تتبـنى الفكر نفسه الـذي ظهر في مؤتمر القاهرة.

وكـــان مما يشـــاد به مشـــاركة المنظمـــات الإســلامية المختلفة في مـؤتمر الصـين ومحاولتها استغلال المناسـبة لعـرض الإسـلام وقيمه ومبادئه وتعاليمه بخصـــــوص المـــــرأة. وقد أبلى معظم المسلمين المشاركين بلاءً حسناً في هذا المـؤتمر كما كـان للمسـلمين والمنظمـات الإسـلامية دور مبارك في المـؤتمر الـذي عقد في اسـتنبول تحت عنوان (الإيـواء والهجـرة) . ولا بد أن أشـير إلى ما بعض ما حـــــدث من صـــــراعات جانبية بين بعض الممثلين المســلمين. وكــأنهم خضــعوا لتــأثيرات معينة فبـــدلاً من التفـــاهم والحـــوار مهما كـــانت الاختلافــات فــإن بعض هــذه الخلافــات طفا إلى السطح.

أما هـذا المـؤتمر الـذي يعقد هـذه الأيـام في هولنـــدا فلمـــاذا لم يتم التحضـــير له مســـبقاً فإنه فرصة ليعـرض المسـلمون مـوقفهم من الفسـاد الأخلاقي الـذي ينتشر في أنحـاء العـالم وأننا نتـأثر

بما يحــدث في العــالم ، وأن نعــرض على العــالم القيم الأخلاقية الإســلامية الــتي أساســها العفة والفضــيلة وتشــجيع الــزواج الشــرعي ومنع كل الممارســات الإباحية المنتشــرة حاليــاً في أنحــاء العالم.

وأعــود إلى خــبر الجريــدة الــذي لم يكن في الصفحة الأولى ولا في الأخيرة، ولكنه في الصفحة قبل الأخيرة حيث أورد المحــاور الخمسة للمـؤتمر ومنها : " كيفية خلق البيئة الملائمة لتطبيع برنـامج عمل الأمم المتحدة للســكان والتنمية (هل وافقنا عليه أو هل نوافق عليـــه؟) ، ويتنــــاول المــــؤتمر **الصــحة الإنجابية** وكيفية وضع الطـــرق الــتي تواجه بها الــدول بــرامج تنظيم الأســرة المتكاملة وبرامج **الصحة الإنجابية** ، ويأتي بعـدها موضـوع المســـاواة والعدالة بين الجنســـين وتـــدعيم دور المرأة .."

فإذا كان لنا حضور طيب في مؤتمر القــاهرة والصين واستنبول فلماذا الغياب عن مؤتمر لاهـاي بهولنــدا بــالرغم من أن الصــحيفة استضــافت أحد المشاركين من الكـويت الـذي قـال:" وعلى الأقل لنذهب لنفهم رغم أننا نستطيع التأثير ولدينا فعالية كما أننا نملك تأثيرنا كخليجـيين في الفكر التنمـوي العـــربي والإســـلامي ،وأعتقد أننا مـــؤثرون بشك ملموس وفعال في هذه المؤتمرات.."

وفي الوقت الذي يتحدث العالم عن السكان والحد من النمو السكاني ستعرض إحدى القنــوات الفضائيةCNN برنامجاً عن زيادة عدد كبار السن

في آسـيا القـارة الـتي كـانت تمتـاز بزيـادة عـدد الشباب فيها والتي بدأت تصاب بأمراض الحضـارة الغربيــة. ليتهم يدرســون كيف تســتطيع الأراضي الأســيوية أن تنتج من المحاصـيل كما تنتج أراضي أمريكا التي تكاد تغـرق العـالم بمنتوجاتها الزراعية ويعتمد العالم كله على الغذاء المستورد منها بـدل أن يحدثونا عن تنظيم النسل أو تحديده أو الصـحة الإنجابية وموانع الحمل ..الخ.

مؤتمرات الأمم المتحدة القادمة

زعم الـدكتور سـعد الـدين إبـراهيم في أحد مقالاته الأربع الـتي نشـرتها جريـدة الحيـاة إبـان انعقاد مؤتمر التنمية والسـكان في الفـترة من 5-10سـبتمبر 1994 أن اجتماعـات تحضـيرية قد عقـدت في القاهرة والإسـكندرية والمنيا لمناقشة مسوّدة قرارات المؤتمر المـذكور وحضـر" رجـال دين" مسـلمون ونصـارى هـذه اللقـاءات .وتعجب كيف سـكتوا حينئذ ولما أوشك المـؤتمر أن يبـدأ أعماله أثاروا ضجة وصخباً ضد المؤتمر. قد يكـون الـدكتور صـادقاً في زعمه ، ولكن حبـذا لو أوضـح لنا متى عقـدت هـذه الاجتماعـات ومن الـذي مثّل جانب علماء الدين الإسـلامي، وهل يحق لهم فعلاً أن يتحدثوا باسم العلماء المسلمين.

على أي حال لقد" قُضيَ الأمر بليل" وجـاءوا بالوثيقة لإقرارها والتوقيع عليها في بضـعة أيـام. فهل يتم إعـداد الوثيقة في سـنوات ولا يسـمح بنقاشـها إلاّ سـاعات محـدودة؟ غـير أن تخطيط الأمـم المتحـدة لن يتوقف عند هـذا المـؤتمر فهم يعـدون لمـؤتمر آخر قد يكـون أشد خطـورة وهو "المؤتمر العالمي الرابع للمرأة" سيعقد في بكين في شهر أيلول (سبتمبر)1995من وسوف يسبق هذا المؤتمر اجتماع تحضـيري في فينا بالنمسا في الفترة من 17-21تشرين الأول (أكتوبر) 1994 ، ومن المتوقع أن يشـارك في مـؤتمر بكين بين

ثلاثين ألف وأربعين ألف امـــرأة من جميع أنحـــاء العالم.

ومن اللافت للانتبـــاه الصـــلة الشـــديدة بين مـؤتمر "السـكان والتنميـة" وهـذا المـؤتمر حيث سيركز المـؤتمر حسـبما أفـادت بعض المصـادر([1]) على القضـايا الـتي تم تناولها في مـؤتمر القـاهرة مثل حقــوق الإنجـاب والصـحة التناسـلية. ويشـير المصـدر نفسه إلى أن هنـاك اسـتعدادات أمريكية في جميع أنحـــاء الولايـــات المتحـــدة يتم اتخاذها للإعداد لمؤتمري فينا وبكين.

وحــتى لا توضع وثيقة أخــرى شــبيهة بوثيقة مـؤتمر "السـكان والتنمية " ونبـدأ في اللحظـات الأخـيرة في الاعـتراض والاحتجـاج والتنديد ن لا بد أن نبــدأ من اليــوم في الإعــداد ليُســمع صــوت الإسلام عالياً ، ولكن كيف سيتم ذلك؟

يعج العالم الإسلامي بحركات نسـائية تقودها نساء متغربات من أمثال نوال السـعداوي وهــؤلاء غـــير مؤتمنـــات مطلقـــاً على نقل وجهة النظر الإســلامية إلى العــالم ففاقد الشــيء لا يعطيــه. فمـن يمثل المــرأة المســلمة؟ونتســاءل هل من الممكن أن نؤسس قســـماً نســـائياً في رابطة العـــالم الإســـلامي ، وآخر في منظمة المـــؤتمر الإســلامي ، وثالثــاً في النــدوة العالمية للشــباب الإسـلامي ، ورابعـاً في وزارة الأوقـاف والشـؤون

[1] -نشرة أضواء على الأنباء -تصدرها وكالة إعلام الولايات المتحدة الأمريكية في المملكة ، عدد 21 في 29 أغسطس 1994م

الإسلامية بالإضافة إلى تنظيمات شبيهة محلية في البلاد الإسلامية المختلفـة. وتبـدأ هــذه الجماعـات بالاجتماعات في أسرع وقت لتحدد موقف الإسلام ومن القضــايا النســائية العالميــة، وكــذلك موقف الإسلام من المرأة عمومــاً، وأن يتم إعـداد موقف إسلامي موحد ليقدم في هذه لمؤتمرات.

والعالم الإسلامي بحمد لله يضم آلاف النساء اللاتي يملكن ثقافة إســــلامية عالمية ، وقريبــــاً سيعقد مؤتمر إسلامي حول الأسرة المسلمة فهل نجعلها فرصة للتصـــــدي لهــــذه المــــؤتمرات المشــــبوهة؟ يجب أن ننقل إلى العــــالم موقف الإســلام الــذي كــرّم المــرأة إلى درجة لم يعرفها تشـــريع قبله ولن يعرفها مهمـا بـــذل البشر من جهد. لا بد للعالم أن يدرك هذه الأساسيات : { هو الذي خلقكم من نفـس واحدة وخلق منها زوجهـا} وقوله صــلى الله عليه وســلم (النســاء شــقائق الرجــال) وكــان من آخر وصــاياه صــلى الله عليه وسلم (واستوصوا بالنساء خيرا) وقوله صلى الله عليه وســلم (خــيركم، خــيركم لأهله وأنا خــيركم لأهلي.)

لقد كرّم الإسلام المــرأة ابنة ، وزوجــاً وأختــاً وأمــاً وعمة وخالة ..فجعل تربيتها والإحســان إليها سـبباً في دخـول الجنة ن وجعل إكـرام الأم والـبر إليها ســبباً في الوصــول إلى رضــوان الله ، بل جعل بر الوالدين كالجهاد ..(ففيهما فجاهد)

تنــادي المنظمــات العالمية بتعليم المــرأة ، وهل أبلغ من توجيه الرســـول صـــلى الله عليه

وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسـلم) وقد ضـرب الله عز وجل مثلاً للمؤمـنين بـاثنتين من النساء همـا: زوجة فرعـون ، ومـريم ابنة عمـران. وفي الـوقت الـذي نـدعو فيه العـالم إلى تكـريم المـرأة الحقيقي كما جـاء به ديننا العظيم يجب علينا أن نرفع الغشـاوة عن أعين أتبـاع هـذه الحضارة المادية ذات القيم الـتي أخـرجت المـرأة وامتهنتها إلى درجة لم تعد المـرأة إلاّ متاعـاً من المتاع تعاني من الإذلال والقهر والاحتقـار الشـيء الكثير.

لقد قـاد الغـرب الـدعوة المزعومة إلى " تحرير المـرأة" وشـجع أصـحاب الفكر المنحـرف لنشر هـذه الـدعوة في أنحـاء العـالم ، ومن آخـر- وليس آخـرهم- المارقة تسـليمه نسـرين البنجلاديشية. فقـد آن الأوان أن تعود القيادة لهذه الأمة لما تملكه من مـؤهلات حقيقية للقيـادة ، والله الموفق.